

أين ؟

محمد الحسن

عندما يَحِلُّ اللَّيْلُ وتذهب إلى الْفِرَاشِ لِكِي
تَنَامَ ويكون الأرق دخل عَيْنَاكَ وَالنُّعَاسُ
أيضًا وَلَكِنْ تَبْقَى مُسْتَيْقِظٌ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، وقد
يتجاوز الأمرُ الْعَدِيدَ من ساعاتِ اللَّيْلِ
وتتسألُ أين النُّعَاسُ ، أين الراحة التي تَسْكُنُ
في اللَّيْلِ بَعْدَ تَشَرُّدِ التَّعَبِ في النَّهَارِ ، أين
النوم الذي كُنْتَ لَا أَرِيدُهُ قَبْلَ عِدَّةِ سِنَوَاتٍ
وَأَنَا صَغِيرٌ ، وَأَنَا أَكْرَهُ هَذَا الْوَقْتَ وَهُوَ النَّوْمُ
لأن كُلَّ شَيْءٍ جَمِيلٍ سوف ينتهي ، أين النوم
الذي كُنْتَ مُجْبِرٌ عَلَيْهِ . . .

إلى أين ذهب وتركني في الظلام ، إلا يكفي
سواد اللَّيْلِ الْحَزِينِ ، إلى أين ذهب وتركني
من غير ضوء القمر أو حتى من غير ضوء
إضاءة الشوارع الأصفر والأبيض . . . إلى
أين ؟ ؟ ؟

هَلْ ذَهَبَ إِلَى أَطْفَالِ الْوَقْتِ الْحَاضِرِ لَكَ
يَحْصُلُ عَلَى مَا لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهِ فِي وَقْتِنَا . .
. أَمْ لِأَنَّهُ لَا يَنْسَى وَبَدَأَ فِي الْإِنْتِقَامِ . . . أَمْ
لِأَنَّهُ حَزِينٌ . . . أَمْ لِأَنَّهُ بَدَأَ فِي فَهْمِ الطَّبِيعَةِ
الْبَشَرِيَّةِ . . . عَلَى مَا يَبْدُو مُتَفَاجِئٌ مِنْ أَفْعَالِ
بَعْضِ الْبَشَرِ فِي النَّهَارِ وَالْخِرَابِ الَّذِي
يَقُومُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ ، وَفِي نُفُوسِ الْبَشَرِ ...
نَعَمْ فِي نُفُوسِ الْبَشَرِ . . النُّفُوسُ الَّتِي يَتِمُّ
كَسْرُهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَجَبَرُهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
أَيْضًا ، وَلَكِنْ النَّوْمُ لَا يَسْتَطِيعُ جَبْرُهَا لِلْأَسَفِ
، لِأَنَّ هَذَا الشَّيْءَ لَيْسَ مِنْ مَهَامِهِ ، وَلَكِنْ
يَحَاوِلُ أَنْ يَصْنَعَ الْبَعْضُ مِنَ الْأَحْلَامِ الْجَمِيلَةِ
لَعَلَّهَا تَجْبِرُ هَذِهِ النَّفْسَ الْمَكْسُورَةَ وَتَنْسَى
كَسْرَها .

ولكن لحد الآن لم أصل إلى إجابة السؤال .
.. إلى أين ذهب ؟ ؟ ؟

هل يقبلُ الاعتذار لكي اقومُ به ؟

هل قُمتُ بكسر خاطر النوم ؟ ؟ هل قُمتُ بهذا
فعلاً ونحنُ لا نعلم .. ؟ ؟ ؟

هل عندما كنا ننام كان النوم في حاجتُنَا ؟ ؟

هل كان حزين ويُرِيدُ المواساة في ذلك
الوقت ؟ ؟ ؟

هل يُريدُ النوم ؟ ؟ ؟

يوجد الكثير من هل وهل وهل ولكن على ما
يبدو لي بأنه ذهب ولن يعود . . . ذهب إلى
الأبد . . نعم إلى الأبد .

هل النوم سوف ينتقم من أطفال هذا الوقت
ايضاً بسببنا ؟ ؟

بسببنا لأننا كنا أطفال ويعلم ما فعلناه به ،
ولكن هل سوف يعلم ايضاً ماذا سيفعلونه
أطفال هذا الوقت ؟ ؟

لو باستطاعتي لاخبرت جميع الأطفال قيمة
النوم ، لاخبرتهم بأنه المهرب الوحيد من
الحياة في هذه الحياة ، لاخبرتهم بأن يقوموا
بجبر خاطره الذي قُمنّا بكسره لعله يعود لنا
في ليالينا المظلمة ، المُخيفة ، ليالينا التي
اتعبنا السّهر بها . . . لعله يعود ويكون
منقذنا من السّهر الذي يختارنا في كل ليلة .

لو باستطاعتي الرّجوع إلى الماضي فقط
سوف اصلح الاسلوب الذي كُنْتُ اتعامل به

مع النوم ، لَكُنْتُ احتَضَنْتُ النوم ، لَكُنْتُ
عرفت قيمته بعد أن فقدته ، لَكُنْتُ جَبِرْتُ
بخاطره بدلاً من كسره .

تَبْقَى كَلِمَةٌ " لَوْ " من المُسْتَحِيلَات التي لن
تَتَحَقَّق ، تبقى فقط للحسرة والندم . .

هَلْ النوم يَأْتِي في الصبح ؟ ؟

على ما يبدو لي هَكَذَا .. في الصبح يَأْتِي .

الواقع يقول : الإنسان يَحْصُدُ ما زَرَعَهُ ،
وها نحن نحصد المَحْصُول السيء الذي
زرعناه في أيام الصِّغَر ، ولكن لم نَكُنْ نَعْلَمُ
ما الذي نقوم به ، لم نَكُنْ نَمْتَلِكُ المعرفة
والوعي الكافي ... هَلْ يَجُوزُ أَنْ نُعَاقِبَ على
شيء فَعَلْنَاهُ ولم نَكُنْ على دِرَايَةٍ به ... على

ما يبدو بأنه يَجوز ... وسوف يَجوز طول
العُمْرِ.

هل اصْبَحْنَا نَفْقِدُ السَّيْطَرَةَ حتّى في النوم ، لا
نقدِرُ أن ننام حتّى لو القليل من الدقائق .
إلى أين ذهب النوم وإلى أين ذهبنا نحنُ
ايضاً ؟ ؟

إلى أين ستذهب بنا الحَيَاة ؟ ؟

هل سوف يعود لنا النوم ؟ ؟

يوجد العَدِيد من الأسئلة التي تدور في عقلي
ولرُبما في عقولكم ايضاً ولكن لا نمتلك
الجواب الكافي والمُقنع ، نمتلك فقط الندم
على ما فات وذهب بعد ما كانَ بين أيدينا ،
بعد ما كنا نمتلكهُ حق التملُّكِ ... ولكن نحنُ

هكذا لن نعرف قيمة الشيء حتى ولو كان
بسيط جداً إلا بعد فقدائه ، ونبدأ في طرح
الأسئلة على أنفسنا إلى أين ذهب ؟ ؟

في هذه الحالة نكون نرتكب نفس الخطأ مرة
أخرى ... كيف ؟ ؟

عندما نقوم بطرح الأسئلة على أنفسنا على
شيء ذهب بعيداً فنحن أيضاً نقوم بإضاعة
الوقت الحالي الذي نعيشه ، وسوف نقوم
بطرح الأسئلة على أنفسنا على الوقت الذي
ضاع منا ونحن نطرح الأسئلة على أنفسنا .
الامر أشبه بالمتاهة صحيح .. !

اعتقد البعض منا سوف يرى هذا الموضوع
وهو النوم شيء بسيط ولا قيمة له ،

والبعض سيفهم ما تعنيه كَلِمَاتِي لأننا نعيش
نفس الشُّعور والحالة والندم والحسرة .

ويبقى السؤال قائم إلى أين ذهب ؟ ؟

وهل سوف يعود ؟ ؟